ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها

المغنى

الفقير الثرى



بقلم: هشام شوقي حسن

مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة

(١) ذاتَ يوم ، جلسَ تاجرٌ ثريٌّ بين أصدِقائه في غُرور ، وراحَ يتحدَّثُ عن ثروَته الّتي كوّنها بعَبقريَّته وذكائه . وفي أثْناءِ حَديثِه ، جاءه جارُه الفَقيرُ وقال : أيُّها الجارُ العَزيز ، ألا أجدُ عِندكَ عملاً لي ، أكسِبُ منه قوتَ يوْمي ؟ فدعاه الثريُّ قائلا : اجْلِس الآنَ حتى أفرُغَ من كَلامي ، ثم أبحثُ في أمرِك .



(٢) جلس الفقيرُ وراح يَستمعُ إلى حديثِ الثَّرىِّ عن أَموالِه ، فلم يُعجبْه ، فقال : ألا تذكُرُ فَضلَ اللهِ عَلَيك ، وتحمَدُه على هذه النِّعمَة ؟ قالَ الثَّرىُّ فى غَيظ : لقد طلبتُ منك أن تَجلِس ، لا أن تَقولَ رأيَكَ فيما أقول . . لا تنسَ أنَّك تتحدَّثُ مع رجُلٍ غَنىٍّ وأنت فَقير ، فإن شئتَ أعطيتُك مالاً كثيرًا .



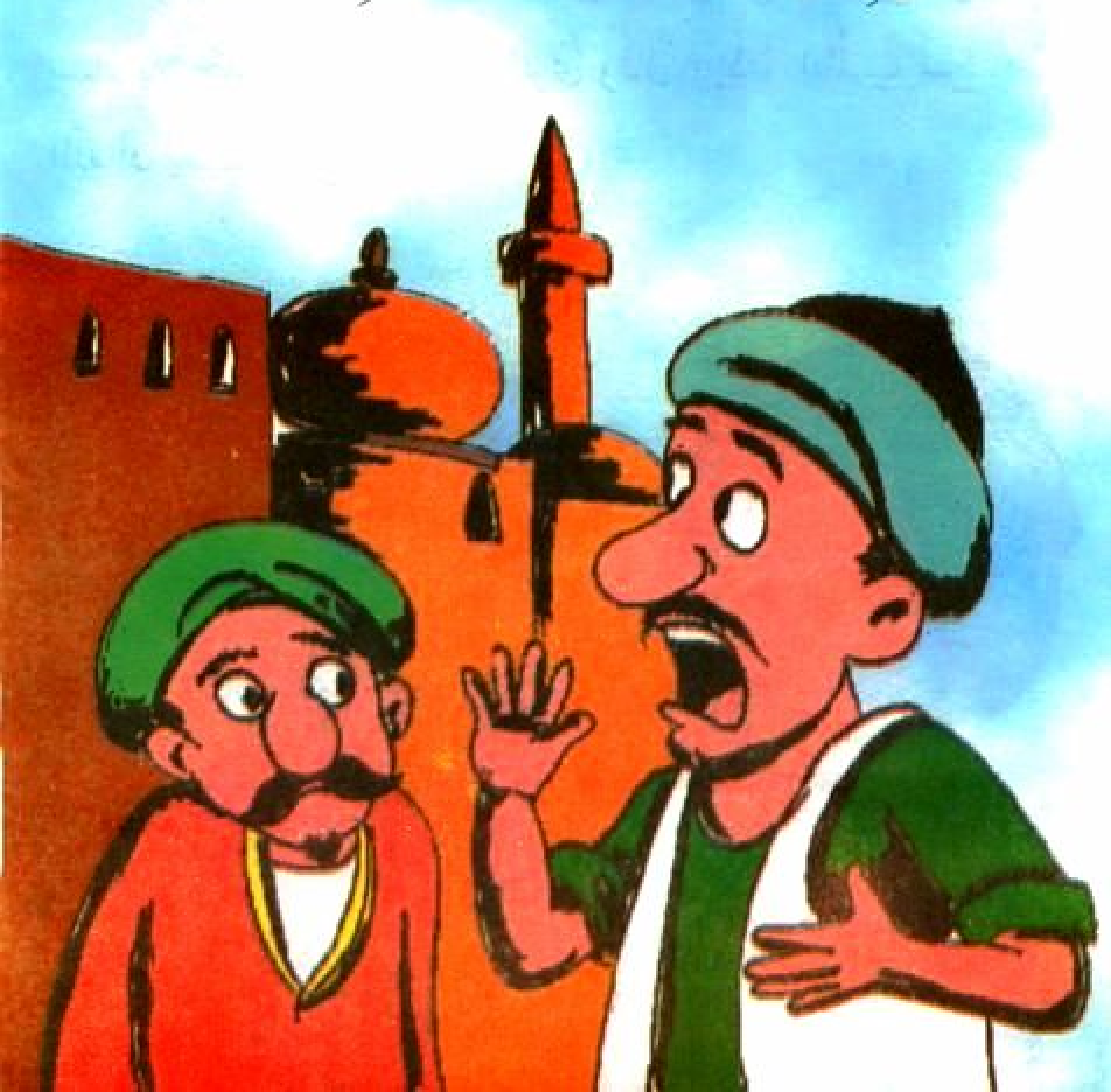
(٣) قالَ الفقير : اللّهُ وحده هو المُغنى ، ولديهِ خزائنُ السَّموات والأرض . ضحِكَ الثرىُّ وقال : ماذا تقصِدُ بهذا الكلام ؟ قالَ أحدُ الحاضرين : المُغنى هذا اسْمٌ من أسماءِ اللّهِ الحُسنى . فقالَ الثّرىُّ فى تعجُّب : أحقّا ؟ لم أكنْ أعرف هذا ؟ وقد يكونُ هذا الفقير لا يعرِفُهُ مِثلى .



(٤) قالَ الفَقير : إنَّ الحقَّ سُبحانَه وتَعالى ، هو وَحدهُ المُغنى . . فهو الَّذى يستَطيعُ أن يجعلَ الفَقيرَ غَنِيًا ، وهو الَّذى يَستَطيعُ أن يُبقى للغَنىِّ غِناه . فاللّهُ عِندَه خزَائنُ السَّمواتِ والأرض ، فهو يُعطى ما يَشاءُ ، ولا تَنفَدُ خزائنُه أبدًا ، وهو القادِر على العَطاء بلا نِهايَة ، وعلى أنْ يُغنىَ من يَشاءُ بلا حُدود . . فضحِكَ الثَّرىُّ وقال : إذَنْ اطلُب من اللّهِ أن يُغنِيَكَ مِثلى .



(٥) قالَ الفَقير : وما يدُلُّ عَليهِ اسمُ المُغنى ، أنَّ المالَ فى الدُّنيا مالُ اللَّه ، واللَّهُ سُبحانَه وتَعالى يَستخلِفُنا فيه .. يُعطى هذا ما يشاءُ ويُعطى هذا ما يَشاء . ولكِنَّهُ عَطاءُ تَمتُّع ، وليسَ عطاءَ تَملُّك . فلا يَأخذُ الإنسانُ من مالِه إلاَّ قدرَ ما يَتمَتَّعُ بِهِ فى الحَياةِ الدُّنيا ، ثُمَّ يترُكهُ لغَيرِهِ بعدَ مَوتِه .



(٦) قال أحدُ الحاضِرين : ما أجملَ هذا الكَلامَ أيُها الرُّجل .
قالَ الفَقير : ومما يدُلُّ عليه اسمُ المُغنى ، أنَّ الحقَّ سُبحَانَه وتَعالى ، يُعطى النَّاسَ حقَّ التَّمتُّع بالمالِ بأمْرِه ، فَلا يَملِكُ الإنسانُ أن يُبقى هذا المال ، أو أن يَحتَفِظ به ، لأَنَّ اللَّهَ قادِرٌ علَى أنْ يُهلِكَ مالَه ، فيُصبِحَ بِلا مال .

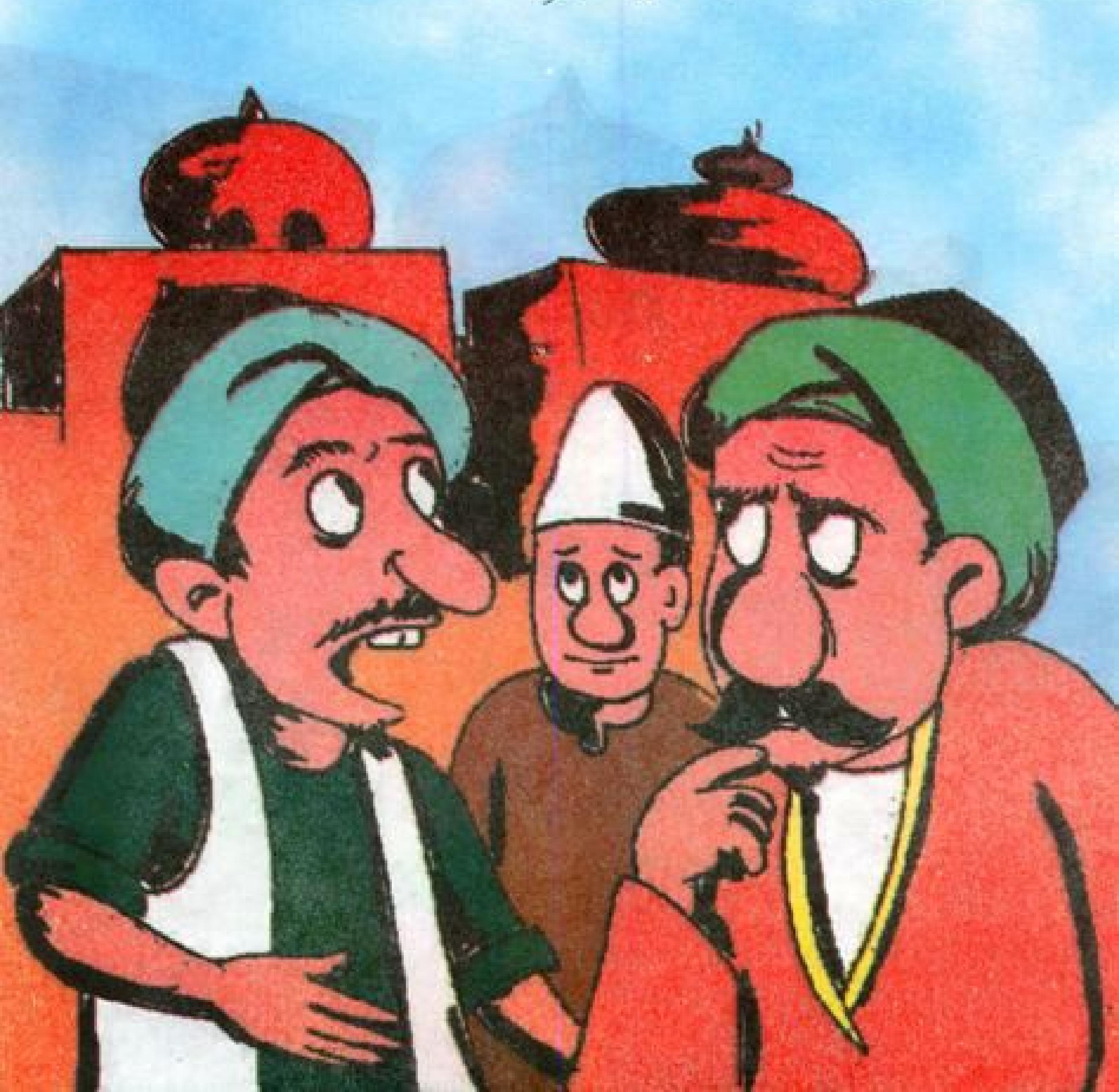


(٧) قال الثَّرِىُّ فى غَضَبٍ : كَفَى . . لقد عَلِمنا . قالَ أحدُ الحاضِرين : قل يا شَيخُ ، واللَّهِ ما نَجدُ أفضلَ من هذا الحَديث . قالَ الفَقير : إنَّ الإنْسانَ عاجِزٌ عن أن يَحتفِظَ بِما يَملِكُ ، فلو كانَ قادرًا علَى ذلكَ ما فارَقتْهُ النِّعمةُ أبدًا ، وما ضاعَ ما يَملِك . ولكِنَّ اللَّهَ هو المُغنى ، وهو المالِكُ الحَقيقِىُّ لكلِّ أسْبابِ الغِنَى .

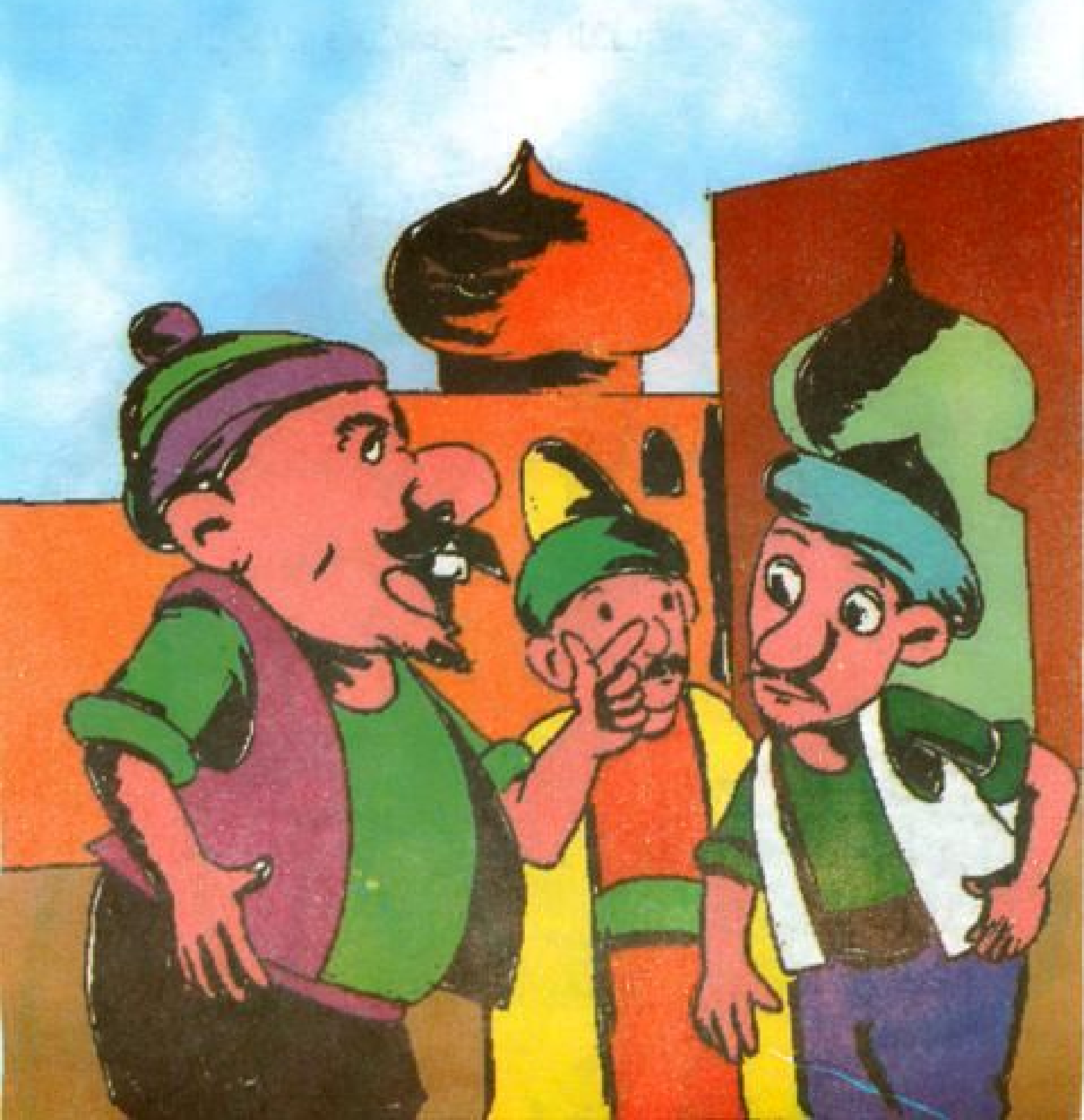


(٨) غضِبَ الثرىُّ وقال : يا رَجُل ، ما الّذى جاء بك فى هذِهِ السّاعَة ؟ فَحديثُك يُؤلمُنى ويَزيدُنى هموّمًا وفكرا .

قال الفقير : ومن خصائص اسم المُغنى ، أنّهُ يَجعلُ عَبدَهُ المُؤمِنَ يَعيشُ حياةَ الغِنى ، دونَ أن يُعطِيَهُ مالا ، بأن يُعطِيَهُ القَناعَةَ والرِّضا ، فَيُغنِيَه عن مَتاعِ الدُّنيا .



(٩) قال أحدُ الحاضِرين : حقًّا يا شَيخ ، فأنا واللّهِ لا أمْلِكُ إلاّ قوتَ يَومى وأحمَدُ اللّهَ عليه . قالَ الفَقير : إنّ الإنسانَ إن كانَ صالحِا ، لا يُريدُ إلاّ رِضا اللّه ، ورِضا اللّهِ هو الّذى يُغنى الإنسانَ عن كُلّ ما لا يَقدِرُ عَليه .



(١٠) قالَ الثَّرىُّ فى غَضَب : أيُّها الرَّجل ، لقد أتيْتَ تَطلُبُ عَملاً ، وقد فكّرتُ فلم أجِدْ لكَ أىَّ عمَل . قالَ الفَقير : وما يَدلُّ عليه اسمُ المُغنى ، أنَّ الحقَّ سُبحانَهُ وتَعالى ، حينَ يَرضَى عن إنْسانٍ يُغنيهِ عنِ النّاس . فَلا يجعَلُ حاجَتَه فى يدِ أحدٍ يُذِلُّه ، بل يُغنيهِ عن خَلقِهِ جمِيعا .



(١١) نهضَ الرَّجُل الثَّرىّ وقالَ فى ضيق : هـذا الكَلام لا مَعنًى له ، فسأذهَبُ لحالى لأُعِدَّ تـجارتى ، فإنى عَلَى مَوعِـدٍ غدا مع صَفقَةِ العُمر . ثم تركَ الحاضِرين ، ومضَـى إلى بَيتِـهِ يُعدُّ أموالَهُ الكَثيرَةَ لِصَفقَةِ الغَد ، الَّتى يَحلُمُ بها .



(١٢) وبينَما الفقيرُ يتحدَّثُ مع الحاضِرين ، جاءَهم رَجلٌ يَسألُ : من يعرف منكم رجلاً صالحًا يريد عملاً مربحًا ؟ فأشارَ الحاضِرونَ جَميعًا إلى الرَّجُلِ الفقير . فقال الرَّجل : حَسنًا ، ثمَّ أخرَجَ بعضَ النُّقودِ من كيسِه ، وقدَّمها للفَقيرِ وقال : خُذ هَذا أجرُ يومٍ مُقدَّما ، وغدًا تأتى للعَملِ عندى فى مَخازِنِ الأعْلاف .



(١٣) قالَ الفقيرُ وهو يَنظُرُ إلىَ النُّقود التى دَفعَها له الرَّجل : ولكنَّ هذا كَثيرٌ يا سَيِّدى . قالَ الرَّجُل : هذا من عِندِ اللّه . فسُرَّ الفَقيرُ وشكرَ اللّه ، وأستأذنَ الحاضِرينَ فقالوا لَه : أعجَبنا حَديثُك عن اسم المُغنى ، فلم لا نَجعلُ جلسةَ الغَد عن اسْمٍ آخرَ من أسماءِ اللّهِ الحُسنى ؟ قالَ الفقيرُ فى سُرور : غدًا إن شاء اللّهُ لنا مَوعِد . ثم مضى .



(١٤) وفى مَساءِ اليَومِ التّالى ، حضرَ الفَقيرُ من عَملِهِ للقاءِ الأَصدقِاء ، فوَجدهُم يلتفّون حَولَ الثّرىّ ، وقد بَدا عَليه الحُزنُ والألم ، فسألَهم عن السّبب . فقالَ الثّرىّ : سَمِعتُ حَديثَكَ بالأَمسِ فلم أُصدّق ، واليومَ قمتُ بعَمِل صفقةِ العُمر ، فَخسِرتُ فيها كُلَّ ثَروتى . حقًّا إنَّ اللّهَ هو المُغْنى .

